



البحر عند اشتداد النور.

وحديثي معكم يجمع بين الحقيقة والخيال هذا يلامسه لساً وتلك تستقر فيه . هو الثوب الذي يرتديه وهي لباب معانيه . ومزج الحقائق بالخيالات منذ المثل والقلب . بما والامان عقل وقلب .

يتعمق اليوتي على شاطئ . البحر كما يتعمق الحصى على ضفة النهر وتلاهما بيفيان ترويح النفس من هنا . الأشغال وتناهي اكدار الحياة ولو برهة قصيرة . فيكتفيان غالباً بما يبدو لهما من مظاهر التوسط والمعاصي . وقدما يعمنان النظر في ما سوى ذلك . قلما يتعمقان بافكارها او يدترسان بالافتكار ولو كانا اليه رخاء تامعي بال . على ان منظر الماء لا يسا عند الماء . يحس الانسان بالتمكيد ورب فكر مصيب يفيد الناس ان عموا بوجوده عظمى الفوائد

.....

كنت مرة اتعمد على شاطئ . البحر عند مغيب الشمس وكان النسيم لطيفاً والجز صافياً والطبيعة كلها تقيم بحمد الله فتمتبت مسافة راق لي بعدها الجلوس فالتذنت الى صخر يغسل الموج رحله ويرقي حوائيه كزغوة الصابون في اليد النظيفة . جلست اودع ذكلاً . وهي على لغة الغيب تصفر من لم النوى وترسل اشعتها - هماً . من خلال غيبات الافق كمنارة راقية تحاول التلصق من رقب الحبيب . وما لبثت ان توارت عن النظر واورشت المكان وحشة لتغيب لها النفس . ثم لشرق القمر بجماله الساحر فانال البحر وزاده جمالاً . فعمت كل انبهاهي اليه واذا به هاج وواج كأنه يتألم . وكان لدوي وجهه رنة شبه بالاذنين . فتأثرت - وثقت لو علمت مما يتهدد البحر وتناين الموج . الذي يضغط عليه ويرحجه فيخرج منه النفس تنهداً عميقاً . وقتت في نفسي اهي فواعل الطبيعة فقط تحرك ام مفاد الانسان ايضاً تولد . على انه جاد سائل لا يشعر ولا يعقل . وبعد ان فكرت فيه ملياً وقتت بتفحصه نفس الامة عدت الى نفسي فرأيتني قد اعطت المكث فهمت بالسبح . ووا كدت انفض حتى زلت قدمي فذقت جأشاً على ركبتي وباسرع من فعل الكبرياء . تراءى لي اله البحر نبتون معبود الاقدمين وبصوته الجهوري ناداني . وقال - لا تبايس ايها الانسان فان الالهة لا تضن بالحكمة على طالبها ولا تجرم الحق الباحثين عليه . ان ما سمعته من دوي البحر وثقلته انبأ هو انين . مجازي لا

رب قيع . فاصغ الي لا قص عليك للاذيت البحر

فدهشت يا سادتي من صوت هذا الاله فبهرت عيني واستولى علي الذهول .  
فاحيت راسي احتراماً واحترت بكلامي اليه . وكنت امسك انفاسي للا تعيقي من  
دم ما يقول

ال تشرقون - يفت البحر من قومك يا ابن - ويا . يشهد من جودكم عليه . يتألم  
من احقرتكم اياه . انتم يا لسل البنييين يا احقاد معزيه يا من جار عليكم الزمان  
فانقضتم له يومكم الدهر بالارزا . فرحطتم لها . وعشم اجيالاً عديدة منتظرين الفرج  
من عيونكم لكم . وتكفين على العيون حتى يكروناكم . لاجاكم ينأثر البحر كثير منه  
الفسه . فاكرا حرمة اجوار . فكم يتسنى الحيد والمرحيه لها . لحمل اذناكم يوطي .  
ظهوره ويذل نفسه . ولا يواد فغايانكم يقبح قلبه . يزين سواكم ويغسل اقدامها  
وبهي اماككم شر نعمان الاقدار . يصل بلادكم ببلاد ارقى منها . وينفلكم الي  
حيث تكلفون

كان حركم ولا يزال صفة التمدن بين الشرق والغرب . نقل معاخركم قديماً يوم  
كانت لكم مآثر تغفرون بها - نقلها الي ما لبها و - تعقيا . واليوم يعيد اليكم ماكم  
مع رجاؤ . بما انه يعيدكم لكم و برعية وسرور . نقل باذي . موسى الكلام و - وع المسيح  
وعمد الرسول . نقل الوحي والنسوة والارشاد . نقل العلوم والمعارف القديمة مع الاداب  
والفضائل السامية . نقلها كلها الي لوزيا واذاعها في كل الارض فتهدب اوانك الناس بها  
واستفادوا منها . واعلمتموها انتم حتى اقدمتم تنسونها . ولولا القابل لانكرها بعضكم  
فخلها من غير هذه البلاد تركتم كثيراً من محاسنكم ووا . كنفيتهم بالا حفاظ بجاونكم  
قطر بل اضمتم اليها كثيراً من مساوي الافرنج وتسكنتم با جاؤك منها مع حسانتهم وآثر  
بعضكم بعضها عليها بي بعض تلك ظلي هذه

بهركم يا بني - وريا يشيف لهدركم بالمداه و - وولها على الرب والسعة ولولوت  
بدما . الاحجار والاثربة . ويعيد ماها اليكم باليوم مبحرة فطرة . يعيدها نظيفة  
صافية . ياخذها من تحتكم ويردها من فوقكم . ولولاها انكالت بلادكم قفرا جردا .  
لا يقطنها حي ولا يسكنها انسان وانتم اللان ما انقتم وسائل الانتفاع منها ولا احسنتم

ري الزروع ولا استخدمتم قواها لمسانعكم . حتى للشرب لم تطهروها كفاية بعد .  
تلقون البه اقدار الاسا كل وتضطادون منه السمك الفاخر لتستخدمون فيه راعكم  
فيكفرون مجتازيه الامن كان لافساق قبعة وتنتظرون التركي ليكيح جماعهم وبني  
المسافرين اضرارهم وانتم لانتهدون حتى ولا تهذيب السنهم ومنع بذائهم وتطالبت  
خسرتهم . تستخدمون سكه الفريد بتوريبكم ولا تفقدون مكهم صفايين يداخون  
عن عوام الصيادين وتكم من ابناء بعوت وطراباس وصيدا وصور وعكا وحيفا ويافا  
من لا يوانسه في العام زيارة

كم منهم من لا يغسلون ثيابه ولا يقودون بالسباحة فيه ولا يعطون حتى كيف  
تكون . على انها من افضل وسائل حفظ الصحة وتفوية الطيبم والعقل  
حسبه ان القوي فيه ياكل السمك حسيه ثمراً من هذا النظام الطبيعي الحيواني .  
فلا تريدوا بعصبتكم وتقاطعكم مرارة روحية .

ان اشباب زواركم ومراكبكم من عم بلادكم ان مساجعها ومقاديرها وشرعتها  
كلها من خارج سوريا . والبواخر لا يملككم فيها . والاراضي لولا الاقربح لا عرفتموها  
انه ياتيكم . وكل احتياجاتكم كأنكم اطفال ولا ياخذكم . ما يرزقي قيم  
ولوداته . ياتيكم بالابرة وماكشبان بالمشوجات وبالاولاني . ياتيكم بالثياب المحاطة  
وبالمعادن مشغولة خاصة حتى باقمح والشعر والسمن والزيت ايضاً . ياخذ حريراً  
لولا جودة الطيبة لما كان يشري اي لافضل لكم فيه لانكم لا تحسبون جيداً تربية  
دودم . ياخذ الحنطة والخروب بارخص ولولا الرخص لا اشتراها تاجر حريب . وعمرانكم  
لا يزال كما كان على عهد نوح ويزورونكم لولا عطية الارض لسا كفتكم مؤونة  
البحر

يأتيكم البحر يا نبي سوريا بالثورين الحقيقي والجاوي بالثورين وبفهم البحر  
وبدادوات ومواد الاستلين والغاز وانكهرباء . وبالعلم والتهذيب . ياتيكم بحسنات  
عديدة فلا تقبلون منه شيئاً مفيداً الا وتسألونه الشيء الضر وقد لا تقبلون على ذلك  
اقبالكم على هذا

ياخذ ابناءكم جهلاء احمياء . متوحشين قذرين عقولهم مكبله بالالوهام والخرافات  
قلوبهم مطبقة نفوسهم منحطه . ويجمعهم اليكم متعلمين مستنيرين متسدلين نظيفين

عزيم مطانة وقلوبهم مقنومة ونفوسهم راقية . يأخذهم متعصبين مستبدين مظالم  
 ورجيم . نساهاين متساوين عادلين . وابناؤكم قبا يبرون به او يهيمون بشعز يزه حتى ولا  
 بصيانة سمت . يأخذ بعض اثنيانكم ووجهاكم الى اوربا فيذلونه عند الاجانب وفي  
 ما هر يفاخر بحله وحياء البلاد يتعمدون هم ثم صيكم ويسبون له الامنة تنهكم  
 والاحتمار بختهم . يأخذ بعض اذ كيانكم ليرتقوا يتأهلوا خدمة الامة ليتعلموا ويرتقوا  
 ليتقوا على شركاءهم ورت وادرفهم حيث لا مراقبة ولا استبداد . فيتهاخون على  
 الامة وينفتمون بالمدات فيتخرون بالدرج مع المعون

اذا آن لكم ان تسوا البحر اتعابه . ان تكتموه عن الامتكم . ان تحبوا اليه  
 مداومة الله نجوته وتبرهرو مقدرتكم على تبيذت وارداته . من سمينوا فيها من ضارها .  
 اذا آن لكم ان تحفوا منه فقال بضاعتكم فترعوا القطن وتخلعوه وتغزوه بوضوفكم  
 وتنتجروا حرمكم وتستخرجون ما ذكركم وتوقوا اذ روعتكم وتقدموا ابا الصانع  
 او منكم ايها الاعتقا . يا من نعمتم بدستور يحيي الامة ولا يدلكم فيه

وتعتم بشار اعاب غيركم دون ان تعرفوا . يا من قستون بحسن نتائج تلك المذابح  
 العظيمة التي اسالت الدماء كالانهار ولم يهرق منكم نقطة دم . يا من لم يذق سبك  
 السوساور طعم اسانكم ولا عانيتم عذاب النبي الى قرآن . ولا خنت منكم حر في قلعة .  
 يا من لشدنكم اموان لعبد الحميد على الظالم ولم ينههم قضاص عادل . يا من جائتكم  
 الامة دون ان تسعوا اليها وفادتكم في حين كاد فيه الارس يستولى عليكم فافرجت عنكم  
 واطلقتكم حرية الفكر وقول والمسال وانتم لاهون عافلون . اما آن لكم اليوم ان  
 تقدروا النعمة قدرها وقادها حقها واربعوا لكم فقط . ستان . ركا على اطلاق حريرتكم  
 اذ اشعرتكم بعد اشي . من عطلة الحرية . اما ادركتم قوتها . من ينظر الى جمودكم في  
 عيدها الاخير ولا يجرن . من يعن النظر بعمد اهتمامكم بالعيد ولا يأسف من يراكم كالاصنام  
 في حين تنهل فيه الخناد ولا يبكي . اي ذمول قد استولى عليكم يا قوم . الاجل  
 وفانف روايتها نسد الريق حنقتم على الدستور . اتوهمون الدرقا قافا بالاموريات . ما  
 ذنب الجوهرا اذا مسه العرض . اتكروهون الحق لانكم لا تحسنون التسرع به . الذنب  
 ذنبكم فلا تباؤوا . لا ترجوا المستحيل ولا تتطلبوا الظفرة فلها حال . وسريع السور  
 سريع العطب

تأنتكم من غير هذه البلاد بل كلكم اعداء لما البلاد بلادكم يا قوم فلم  
 تحتقرونا اما سمعتم ولا علمتم كيف ينبغي العرسلويون والاميركان باعدادهم الوطنية  
 انتم يا من فقاذوهم بكل السبب اذ تقدروهم باناء الشور الوطني يا من تهددتم  
 البغار واليونان ولاثم الحرسيا حاضرا طامرين بالملك الدولة هل تشعرون الاقوال بالاممال  
 كلكم وابع الحق اطفال يا منكري فضل هذا الانقلاب يا من تدعوهم قوا لانكم لم  
 تبلغوا بعد مقام الاعلى والفرايس يا من تطاولوا الدستور وهددوا مرقبا لكم وكسماط  
 الربيع ناقلكم من الغلظة الى الورد يا من تطاولوا بغير الاحلاق هولا والاصلاح هينا اينا  
 واتم لا تغيرون من عاداتكم شيئا ولا تصاحون بانفسكم ولا خلقا ابن العالكم في  
 سبيل الامة ابن اكنانكم ابن اوطانكم ان لكم من الاصلاح اذا حققت  
 الشكوى فهي التركي والارمني والبيزاتي اما السوري فالسكت لانه ما عمل  
 شيئا المذكور ولا ضحي بزياد ولا ليا

اقلتم البحر وضواكم اذ عجزوه بفسادكم قام كل هذه الحركة العديبة البركة وكل  
 منكم يتر بعماد الاخلاق وراغطاط العوس ولكن العامين على تهذيب اخلاقهم ورتبة  
 ذنوبهم اندر من النادر كل يرى فاسد التربية وسبب التعليم عامة في الامة والان  
 لا يزل والدون يسبون تربية ابنهم ويكفون من تعليمهم بقواعد اللغات ويورثوا الصبيان  
 على البنات كل شي حتى باخرية والتعليم والتهذيب

يعقر الجار بمر محورية وانتم تذلون ساركم بايمان وقاكم كبر الله افا كناكم  
 دلا فرق العدول بين ايمانكم باسم الدين والدين منه بوا بعد الجهل بين قلوبكم  
 وكلا يجني فيها باطمة التألف والقلب مخلوق الحب استنواكم الوبق النافه فاهتمتم  
 القائم الشين مهمم ورا الدينار ولم تصفوا برائعه كأن السعادة عبودة فقط بالمال حتى  
 مبانكم تسلبون الارزاق في العزبة دون ان تهينوهن بالتعليم والتهذيب لاجناس الجهاد  
 في سبيل الحياة وتوهمهم الحد والكرامة العربي والذل والامتهان لكم خشم العلم وانكسار  
 به والعمل والنفس بكم طغنتوه فادرا على كل شي ذنوبهم انفسكم عاجزين  
 عن اقل شي على هذا الاعتراف فليدقرو بمدانته على غلاتهم ولم تقبسوا الضروري مثل  
 الكمال لم تغزوا بين النافع والضار لم تعلموا بعد كيف تفسدون وكيف تتباحثون وكيف  
 توظفون الشريكات والجمعيات وكيف تفتقرون وتعدون ومع كل ذلك تتوهمون انكم

بعضه جداً لا يمكنكم ان تتدوه . وما ذلك الا من عدم الثقة بالنفس ومن عدم التوجه  
على الاستقلال الشخصي وعدم التشو على الطريقة بالفكر والتقول والعمل

المرأة المراهة . ان المرأة السورية معظمها لاتزال جاهلة غيبة . لا تزال  
اسيرة مظلومة . لا يتد بها الرجل ولا يهتم بترفها . ولولا الافرنج لما تعلمت  
قناة . حتى ان المتعلمات فقط بالغات مكيفات والراقصات جيداً لا يزالن قبايلات  
تدورات . ينكر رجلكم على شريكة حياته الحق ويستبد بها بحمقها ويتبها بجهنم  
بناته ويزدري بهن ولا يهتم الا بتدغير انفسهن دون تعليم ولا تهذيب ويحال  
واجباته فائمة تجلب الطعام والسياب لمن ويرعامل شقيقانه معاملة الخادمت .  
وقد يدفعهن الى الشغل لياكل من حتى اتعاهن بلا مروة ولا عزة فضلاً عن  
تبرج المرأة الفاتق الحد ولاهيبها بالسفاسف واخذ عبلات واقتباسها مفسد القرب  
وترفها عن تربية بنيتها وادارة بيتها . واعتدادها بنفسها دون اهلية ولا استحقاق  
وتطلبها التفوق على الرجل والاستشارة بشؤونه

مدارككم ناصرة من كفاية الآلة احتياجاتها

صحافتكم فوضى لاتطابق لها

جميعاتكم مخطئة لا نظام فيها ولا ترتيب الا ما كتب على الورق

حكومتكم عسش ميبها الحلال والتقصير

وهما سكت الاله - ايها السادة والسيدات - فتمنيت الصداقة ثم فاكنت نفسي  
والمتجسست قوتي اورفتت لنظامي اليه وشكرته شكراً جزيلاً وقد بلغ مني الشاكر حدة  
قدمت فيناي

فقال لي - لا تبتك يا ابن الانسان ولا تهمز ايها السوري . حبلك ما نأثرت  
وبكفيتك ما عانته الان اعاداشات اعنام هذه الفرصة كخدمة . واطمئنت قاروي لهم  
حديثي . معك . عليهم به يعثرون . ويخبرهم ان الحريش . منهم . ونهم اذا لم يسترا  
احد لهم ولا معانة تادون

قال هذا وتراى من بصري فهدت خجلاً من نفسي بهالة نحن فيها - وهدت  
 مثلاً يقول نبتون . . .

وقد آتني منها الاكثرة وأخذتني على اهلنا امر المرأة واستبدانا بها - على اهلها  
 ونياوتها وعلى اثارنا الصبيان على البنات بكل شيء - حتى التريفة والتمائم والتهديب - وقول  
 الحق يجرح والشرح يؤلم

ومادا يقول ايضاً عن قوله " حتى بثاكم ترحلونها للارتفاق في العريضة دون ان  
 تبولوهن بالنعيم والتهديب لاحسان الهبات في حبل الحياة "

مادا يقول - ومدا ايضاً يتلمس لاصحابه من الاله والجنون - يتلمس كتوفر ليهن  
 القوى الطبيعية العظيمة ويحرم من الحس والدين والافروء الامارة - يتلمس مستعدت  
 بالقطرة بصيرت نظايير في العالم يجرعون فقط علم والتهديب - يتلمس قد ياشان على الامانة  
 فيمحق الارض فساداً ولا ياتقيا فسادهن الا للنعيم والتهديب .

واللياسة منهن يناسبها الثمن بقول الراضي

قدمت على الدنيا فعدوا ولادتي      كما زاد في الرضى فسدوم - يوم  
 وكنت هم هبة تقيلاً على الوردى      وهذا الوردى لو يتسبون همومي  
 لسوا يومنا حتى ليسا نعيمهم      فيا رب مسا حكم القضاء بظالم  
 وبارب ان كان النعم كما ارى      فساداً فان الروس حين نعيم

وكنتي الآن في حصر لا تقول شيئاً وقد ريت اليوم يقيات تصون الفتر بنايه واحاق  
 بين الشفاء - من كل جلد - ينبت ابنت حبيكم يا قوم ان تحركوهن مرضة لهذا الروس  
 العظيم - فالتهم هذه الطبيعة الكريمة فهدت اليهن بد الاحسان والانشطين من وهاد النعامة  
 بالقرية والتهديب - سوية رابت الهم من الافضلها ما ابذلني لما كنت اسمعته عن  
 سخاكم في سبل اخبر رثاكم على الاحسان - جمعية نهم ووجباتها الانسانية خدفة  
 لينات الانسانية .

فاهنكم يا سادتي بخدمتكم بل بخدمتكم - وسألت الله ان يوفقها ومن يساعدها  
 غير من فضل ذي السيادة راعيتكم الفضال فان امره تدل عليه وهو بهسا نهي من  
 الوصف والتمنيان - فقلبه وبلكم اجمل سلام